الشعر العربي بين التأثير والتأثر

Arabic poetry between influence and being affected

المهدي نقري [1]

El Mehdi Noukri[1]

[1] جامعـة مُحَمَّد الخامس (المغرب)، elmehdinoukri@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/10/31 تاريخ القبول: 2024/01/08 تاريخ النشر: 2024/01/13

ملخص: إن التفاعل و التأثر والتأثير الحاصل بين الشعر العربي و الشعر الغربي يدفعنا بداية إلى القول بأنه في خضم هذا الأمر انفتحت القريحة العربية المعاصرة في كتابتها الشعرية على معرفة شعرية خارج الذخيرة الشعرية العربية، بحيث استوردت إليها الكثير مما هو غير متداول فيها، وعليه يمكن القول إن المعرفة الشعرية العربية في الزمن المعاصر تشكلت بالإضافة إلى النصوص العربية من نصوص شعرية غربية أضافت إلى الشاعر العربي المعاصر أفكارا جديدة ورؤى مختلفة مكنته من صقل مواهبه بالمزج بين ما هو عربي وما هو أجنبي، بالإضافة إلى الانفتاح على أساليب جديدة استطاع من خلالها بناء القصيدة العربية المعاصرة، وفق نمط مغاير للنموذج الذي سارت عليه القصيدة العربية و الخاضع لمقاييس عمود الشعر.

ولدت الحداثة الشعرية العربية متزامنة مع الفترة التي انبثقت عنها حركات التحرر وتحقيق الاستقلال الوطني لمختلف البلدان العربية في ظروف الحرب الباردة، وفي سياق تاريخي حضاري متدهور ومنكوب، أعقب الحرب العالمية الثانية. وما رافقه من أحداث وويلات ونكبات، وهي التمزق القومي المصاحب لمخلفات الاستعمار، بالتوازي مع أهم قضية في عالمنا العربي والإسلامي وهي قضية فلسطين، وتحريكها للوجدان العربي، وتفاعل الشعوب العربية معها.

الكلمات المفتاحية: الشعر. العرب. الغرب. التأثير. التأثر.

Abstract: The interaction, vulnerability, and impact that takes place between Arabic poetry and Western poetry prompts us, first of all, to say that in the midst of this matter, the contemporary Arab community opened up in its poetic writing to poetic knowledge outside the Arab poetic repertoire, as it imported a lot of what is not in circulation in it, and accordingly it can be said that Arabic poetic knowledge in contemporary times was formed in addition to Arabic texts from Western poetic texts that added to the contemporary Arab poet new ideas and different visions that enabled him to refine his talents by mixing what is Arab and what is

foreign, in addition to openness to new methods through which he was able to build the contemporary Arabic poem According to a pattern different from the model followed by the Arabic poem, which is subject to the standards of the poetry column.

Keywords: Poetry, Arabs, the influence.affected

المؤلّف المرسل: المهدي نقري، الإيميل: elmehdinoukri@gmail.com

مقدمة:

إن التفاعل و التأثر والتأثير الحاصل بين الشعر العربي و الشعر الغربي يدفعنا بداية إلى القول بأنه في خضم هذا الأمر انفتحت القريحة العربية المعاصرة في كتابتها الشعرية على معرفة شعرية خارج الذخيرة الشعرية العربية، بحيث استوردت إليها الكثير مما هو غير متداول فيها، وعليه يمكن القول إن المعرفة الشعرية العربية في الزمن المعاصر تشكلت بالإضافة إلى النصوص العربية من نصوص شعرية غربية أضافت إلى الشاعر العربي المعاصر أفكارا جديدة ورؤى مختلفة مكنته من صقل مواهبه بالمزج بين ما هو عربي وما هو أجنبي، بالإضافة إلى الانفتاح على أساليب جديدة استطاع من خلالها بناء القصيدة العربية المعاصرة، وفق نمط مغاير للنموذج الذي سارت عليه القصيدة العربية و الخاضع لمقاييس عمود الشعر.

ولدت الحداثة الشعرية العربية متزامنة مع الفترة التي انبثقت عنها حركات التحرر و تحقيق الاستقلال الوطني لمختلف البلدان العربية في ظروف الحرب الباردة، وفي سياق تاريخي حضاري متدهور ومنكوب، أعقب الحرب العالمية الثانية. وما رافقه من أحداث وويلات ونكبات، وهي التمزق القومي المصاحب لمخلفات الاستعمار، بالتوازي مع أهم قضية في عالمنا العربي والإسلامي وهي قضية فلسطين، وتحريكها للوجدان العربي، وتفاعل الشعوب العربية معها.

وفي المقابل كان الغرب يشهد انفلاتا حضاريا وحداثيا مطرد الاتساع، وانقلابا على المألوف في مجال طرائق المعرفة، والعلاقات الفاعلة والمحركة داخلها، وأساليب التعبير الأدبية والفنية، وباعتبار الإنسان العربي يبحث عن حلول لأزماته المختلفة، ويتصيد مخارج لها، كان من الطبيعي أن يعجب ويتأثر بالحلول الغربية وطرق تعبيره عنها. فكان إليوت النموذج الأكثر بروزا والأعلى صوتا في تلك الفترة.

ومن خلال هذه المقالة سأقف على ما يميز شعرية إليوت وما هي روافدها وكذا ما مدى تأثيره في الشعراء العرب.

1- شعرية إليوت

انتقلت شعرية إليوت بالكتابة الفنية من فرادتها وانغلاقها إلى نفعيتها للإنسانية كتوجه يبحث في سبل الارتقاء بالفكر الإنساني والدعوة إلى الواقع الحياتي، وأصبحت الآن ضرورة في تعميق رسالة الشعر، فقد " انبثق الشعر الحديث في العقود الأولى من القرن العشرين بالتأكيد بلسان شاعرين من أصل أمريكي هما (أزر باوند) و (ت.س إليوت) اللذان كان شعرهما أكثر من مجرد بديل جذري سريع للواقعية، أو القدرة الفكرية على الإبداعية والانهزامية، لقد كان هناك طوال تلك السنين تقاليد محددة للشعر الذي يعالج مواضيع الحياة اليومية، وتستخدم اللغة العادية وهذه في الكثير من الشعر الحديث"[1]

من ثمة أخذت الشعرية منحى جديد تغير معه مفهوم الشعر بعد طول غياب المهمة الشعرية في الحياة ليظهر مفعول التحول مع الشاعر (إليوت) فقد "كان معترف به لعدة أفراد من مجموعات متنوعة من الشعراء الذين كان عملهم مدينا لشعراء القرن السابع عشر الإنجليز الميتافيزيقيين، وبخاصة(جون دوك) وكان تأثيره واضحا في كتابات (أرشيبولد ماك ليش) الذي كانت أشعاره الأولى مشابهة لقصيدته (الأرض الفقيرة) في أفكارها وأسلوبها، عبر (ماك ليش) في أشعاره المتأخرة عن إيمان إيجابي بالتقدم الاجتماعي ، وهذا مغاير للموقف الديني والذي دافع عنه إليوت"[2] وفي سياق التأتر والتأثير ورد في كتا ذاكرة النص" لا أحد من الشعراء أو الفنانين يملك معناه التام لوحده. إن دلالته وإدراكه إدراك لعلاقته بالموتى من الشعراء والفنانين فلا يمكن تقييمه بمفرده، لكن يجب —من أجل المقابلة والمقارنة- تقيمه في علاقته مع الموتى"[3]

وكان (إليوت) متأثرا بالمدرسة الرمزية، وإن أشد ما جذبه إليهم "هو قدرتهم على تحويل الأفكار إلى محسوسات وتحويل المحسوسات إلى أفكار، وهو أسلوب يعرف بأسلوب حضور الفكر في الصورة، وكان سبيل الرمزيين إلى تحقيق ذلك هو اكتناز التجربة التي تحدث تأثيرها في فترة محددة عن طريق الإشارة والموارية وتصيد الظلام والخفة و التنسيق، وقد أفاد "إليوت" من ذلك وأضاف إليه قدرته الفائقة على استخدام الألفاظ المبهمة في صياغات بسيطة ومفعمة بالمفاجآت، وبذلك استطاع أن يوحد في أسلوبه الشعري بين الفكر والعاطفة وبين الظواهر التي تبدو متباعدة في طبيعتها"[4] هكذا فإن الشعر العظيم يجب أن يهتم بالجوانب الحياتية ليؤثر في الإنسانية بتلك الأحاسيس إنما هي "مناسبات تتيح للإنسان أن يختبر ذاته من خلال كفاحها الأخلاقي والروحي، وهو كفاح لا تتحدد مواقفه بالمحسوس فقط بل بالمحسوس والمدرك كليهما، وذلك سر إعجابه برجال مثل دانتي وبودلير وبستر والذين من خلال فهمهم لهذه الحقيقة وإشراكهم تصوير الصراع الأخلاقي بين الخير والشر، ووصلوا إلى المرتكزات المحورية في الطبيعة الإنسانية"[5]

لقد أحدث (إليوت) متغيرات بسبب ما يحكمها من رؤى أكثر انزياحا عن موجوداتها، مما عرفه ومما آلفه من التعبير الشعري القديم، " فهو يرى ضرورة إزالة الخطأ الشائع في تصور الناس، وهو الخطأ القاتل أن الشعر تجريد للعاطفة، ذلك أن الشعر في حقيقته هو مجموعة من النماذج تعادل في موضوعيتها مشاعرنا العاطفية، وهذه النماذج هي في عمومها من صنع الفكر المتحضر لشمولية التجربة الإنسانية "[6] هكذا تشكلت شعرية إليوت الذي تعد أعماله فاتحة القرن العشرين في وضع ملامح الشعرية وحدودها، إذ تأثر به الشاعر الأمريكي "أرشيبولد ماك ليش" الذي كان حضوره كبيرا في مشروع مجلة (شعر) فكان مقاله (حول الشعر) بمثابة البيان الشعري الافتتاحي الذي اختارته (شعر) ليكون بداية لتأسيس المجلة، لقد كان " لإليوت" تأثير بالغا في الشعراء الغربين والعرب بفضل ما خلفه من الشعر والنقد والمسرح والزخم الكبير من الآثار الفنية، وأن مصدر هذا الفكر الذي يملكه (إليوت) " هو تأثره بالشاعر باوند وأعتبره معلمه وظهرت أولى قصائده عام 1917م في مجموعة شعرية، وفي عام 1922م ظهرت قصيدته الشهيرة (الأرض الخراب) التي رفعته إلى أعلى قمة وصل إليها شاعر حينذاك وفي هذه القصيدة وفي قصيدة الرجل الجوق جسد (إليوت) شعور الخيبة، وعقم الحضارة كما كان سائدا بين المفكرين فترة ما بين الحربين العالميتين"[7]

وعن علاقة (إليوت) بالتراث تورد مجلة شعر رأيه من خلال (التراث والموهبة الفردية) يقول: " ما من شاعر أو فنان ينتهي إلى أي فن ينال معناه الكامل بمفرده، أن معناه وتذوقه إن هو إلا تذوق صلته بالشعراء والفنانين والأموات أنت لا تستطيع تقديمه بمفرده عليك أن تصنعه بين الأموات عند المقارنة والمقابلة وهل يكون التراث الشعري شيئا آخر غير آثار الشعراء والفنانين (الأموات) في الشرق والغرب فالفضل يعود إلى التراث والتراث وحده، والعودة إلى التراث هي بمثابة اختصار الطريق، اختصار قد يدرك شعراؤنا أنه لابد منه، وجعل لنا من وسط آخر غير الترجمة"[8]

فطالما كان (إليوت) يدعو للعودة إلى الموروث ولا يعني هذا أنه كان منفصلا عن الشعر الحديث وهمومه وإنما هي محاولة لوعي متغيرات الوجهة الشعرية، لأن التراث موجود على نظام معين، فإذا أراد شاعر أن يضيف شيئا فلا بد من تغيير العلاقات والنسب بحيث تتعدل، وهذا هو معنى الانسجام بين القديم والحديث [9] وفي هذا السياق أورد مُحَمَّد جودت على أن قصيدة الأرض الخراب:

"-تستحضر التراث بالمعنى القديم ما دامت تشغل اللغة اللاتينية والأسطورة القديمة والنصوص الدينية.

-تشغل التراث البراني لأنها لا تقتصر على النصوص المكتوبة باللغة الإنجلزية، بل تستضيف اللغات الفرنسية واللاتينية والانجلزية والاشتغال على البراني تتمحض عنه ملاحظة أخرى هي أنها :

-تستحضر التراث بصفة الإنسانية.

-تعتمد على الهوامش لإيضاح إحالتها وتفسيرها، وهذا تعالق مغ غير الشعر (النثر) كما أوضحنا.

-تنقسم إلى مقاطع معنوية"[10]

وحتى تتشكل صورة الماضي في صورة الحاضر لتكوين مواقف حداثية أحس إليوت مشكلة القافية وضرورة تخطيها إلى ما ينسجم مع تفكيره الجديد ، غير أن تحرره من القافية كان أقرب إلى تحريره إياها منه إلى التفلت منها، فهو قد استعملها كأحد الوسائل التي لا بديل لها في إغناء الموسيقى خاصة عند الحاجة إلى تكسير الإيقاع وخنقه، ولم يكن عنده من الضروري أن تأتي داخل البيت فتوفر القصيدة ما يسمى بالإيقاع الداخلي وسيلة موسيقية، وقد رفضها إليوت قيدا تحد نبض الكلمة وفي هذا المجال يقول لو أن لنا قافية نبض من كلمة، وفي هذا يقول : لو أن لنا القافية لنبض من الكلمة نغم لم تعده من قبل "[11]

هكذا يركز إليوت على إشباع اللذة في الشعر عن طريق الإيقاع والموسيقى، وحتى أنه استطاع أن يتغلب على القافية، حيث جعلها وسيلة من وسائل غناء الموسيقى الشعرية في القصيدة كما أن نبرة الغموض هي فيما يعرفها الشعر الحديث، وأن مصدر الغموض في الشعر الحديث هو التأثر بشعر إليوت الذي تغلب فيه خاصية الغموض فهو يعتبر الإبهام والباطنية الكتابة التي تفهمها النخبة الضئيلة، أو التي تكتب لأجل فئة مختارة من أبرز خصائص الشعر الحديث، وغالبا ما تجعل هذه الخصائص من الشعر طمسا صعب فهمه معقد الرموز ويأتي إليوت في مقدمة الشعراء الباطنيين وتذوق شعره يكاد يكون وقفا على النخبة المختارة، وقد أدرك ذلك بنفسه وعمد غلى إضافة الشروح والتعليقات إلى قصيدة (الأرض الخرب) وقد كتب عام 1933م في مقالة من كتاب بعنوان: "فائدة الشعر، وفائدة النقد" عن الشعر الصعب محاولا إرجاع الصعوبة إلى واحد من الأسباب التالية:

1-قد يكون هناك إثبات شخصية التحول بين الشاعر والتعبير عن نفسه عبر الطريقة الغامضة، ومع أن هذا الأمر يؤسس له وإنما أعتقد بأن علينا أن نسر لأن الرجل استطاع أن يعبر عن نفسه على الإطلاق.

2-قد يكون مرد الصعوبة إلى مجرد الجدة.

3-قد نشأت الصعوبة من كون القارئ قد قيل له أو اقترح هو لنفسه أن القصيدة ستكون صعبة.

4-هناك الصعوبة التي يسببها إغفال الشاعر الشيء تعود بالقارئ أن يثيره عليه، وهكذا يعمد القارئ الحائر إلى تلمس شيء غير موجود[12]

هكذا يقر إليوت بأن ظاهرة الغموض لا يختص الشعر وحده أو الشاعر أو المتلقي بل هو نتيجة التقاء عناصر العملية الإبداعية الشعر/الشاعر/المتلقي، أي أن الشاعر لما يتحدث عن خلجات نفسه فهو يقصد في مشاركة المتلقي في تلك الدوافع والمكنون، وبين هذه وتلك يحصل الغموض الشعري.

2- النظرية الشعرية العربية الحديثة :

لقد تأسست الشعرية العربية الحديثة على مرجعية تندرج في الثقافة العالمية، " حيث لا توجد نصية منتمية لهذه الشعرية –أي العربية- خارج قراءة وتلقي الشعرية الغربية في تحولاتها النصية كنسق لمكيكانيزمات كتابية مؤسسة للتحول النصي، بل وموقعتها كنص علوي له سلطة الهجرة إلى النص العربي"[13]ولكن نسق الكتابة ظل ضمن إطار الثقافة العربية على الرغم من إنزياحاته الفكرية والأسلوبية، وقد جرى تحول كبير على مستوى التوجيه النظري للكتابة الشعرية وهكذا تبدو الشعرية العربية الحديثة ملتسبة بتأريخها ، لقد كان المشروع النهضوي منشغلا ببناء مشروع المثاقفة الذي يقوم على إدراك الشروط التاريخية من أجل تحقيق التقدم، فوجده في العقل وقلما كان المشروع التحديثي معنيا بالحداثة لأنه أدرك بأنها ثمرة شرط لا يجد لنفسه في نسيج الثقافة العربية موضعا، ومن ثمة فإن المشهد الثقافي العربي لم تطله الحداثة كتيار بل تسللت إليه من منافذ الأفراد /الجماعات، وقد شهدت الشعرية العربية الحديثة تطورا ذو دلالة عميقة /واسعة حيث وسعت مجالات اهتمامها لتشمل أنواع الخطابات الإنسانية الأخرى، ولذلك فقد ظل النقد العربي مسايرا لتلك التطورات الفكرية التي عرفها العالم على مستوى الإبداع والثقافة في ظل الحداثة والتحديث الفكري، ويعد الناقد مُحَمَّد مفتاح أنموذج ناجح للناقد العربي الحديث الذي استطاع أن يستقدم مجموعة من المفاهيم والنظريات والمناهج العلمية محاولا توظيفها/استثمارها علميا في قراءة النص الشعري العربي، ولقد آمن مفتاح بأن التقدم في مجال الإنسانيات متوقف على التقدم في العلوم الدقيقة، حيث يؤكد " أن التقدم في ميادين العلوم الإنسانية رهين بالتقدم في العلوم البحتة والنتيجة المنطقية هي أن التقدم في ميدان البحث الأدبي مدين لهذه العلوم، لذا يبدو لي بعيد المنال جعل مصطلحات الأدب كاملة الانفصال عن هذه العلوم"[14] وانطلاقا من هذا الأساس تبنى مفتاح في مشروعه النظري بكسر الحواجز بين العلوم الإنسانية والعلوم البحتة، ويدعو إلى ضرورة انفتاح النقد الأدبي على العلوم المعاصرة ومناهجها، لقد كان مفتاح صاحب مشروع علمي نقدي طموح يرهن إلى إضافة " لبنة في صرح البحث العلمي الذي

يشيده الخطاب الفلسفي والخطاب التاريخي والخطاب التأويلي والنقدي، لصياغة فكر أصيل متحرر ومتفتح"[15] يهدف انطلاق من هذا إلى " صياغة نظرية لمعالجة النص الأدبي، وذلك عن طريق الجمع والتوفيق بين المكتسبات العالمية ليصير لنا علم للنصوص، ويظهر بكثير من الاهتمام خصوصية الثقافة القومية وتفرد النص وتميزه داخل الثقافة وداخل النص الأدبي نفسه"[16].

يتبنى أدونيس هو الآخر منهجية الشعرية النفتحة التي تستهدف الكشف عن المكونات البنيوية للشعرية العربية القديمة والحديثة من خلال منظور تاريخي شعري يتداخل مع منهجيات أخرى، اجتماعية وبنيوية وتفكيكية ، ويعتبر أدونيس أن حركة الحداثة العربية نشأت بتلاث أبعاد هي " البعد المديني الحضري بقيهم ورموزه، مقابل الصحراء أو البادية، وهذا ما أفصح عنه وأرساه على نحو فريد أبي نواس والبعد اللغوي المجازي أو بلاغة المجاز مقابل ما كان يمكن تسميته ببلاغة الحقيقة كما تجلى في الشعر الجاهلي، وأفصح عن هذا البعد و أرساه على نحو فريد أيضا شعر أبي تمام والكتابة الصوفية ، وأخيرا بعد التفاعل مع ثقافات لآخر غير العربي والتشبع بها إحاطة وتمثيلا "[17] وتبعا لذلك يحدد / يضبط أدونيس خمسة أوهام تميز الحداثة الشعرية العربية هي:

"الزمنية التي تعني عدم الارتباط فقط باللحظة الراهنة الاختلاف عن القديم، المماثلة وهو اعتقاد البعض أن الغرب هو مصدر الحداثة، التشكيل النثري فعلى العكس فالشعر لا يحدد بالوزن ولا بالنثر، الاستحداث المضموني الذي يعاني التجديد الذي يجب أن يضاف إلى مثل هكذا شعريات حديثة"[18] ومن هذا كله يمكننا القول أن الحداثة الشعرية العربية تعرف بأنها زمانية لا زمانية في آن واحد، زمانية لأنها متأصلة في حركية التأريخ /الزمن / تغير الأحوال/الظروف، ولا زمانية لأنها رؤية تحتضن الأزمنة كلها، وأن الحداثة في اللغة ما هي أولا حداثة هذه اللغة ذاتها.

وأن الشعرية بحسب أدونيس ليست محددة بل هي شعريات، كشعرية الحضور وشعرية القراءة وشعرية الهوية وشعرية التجديد، وشعرية الاستعارة وشعرية الجسد، شعرية العنف، شعرية الرسالة، شعرية الرفض، شعرية الكلام القديم، شعرية فضاء الأعماق، شعرية الحقيقة[19]

3- تأثير إليوت في الشعراء العرب

تأثر الشعراء العرب في مشروعهم التحديثي الشعري بشعرية (توماس ستيرنز إليوت)، كونه مبدعا متعدد، فكان ناقدا وكاتبا ومسرحيا وشاعرا، يعد أحد أهم من استحدثوا في الكتابة الأدبية خاصة وأنه قد تكون شعريا في زمن عرف أهم مرحلة من مراحل الشعر العالمي وتعتبر " نصوص إليوت الشعرية "معتقة" بشكل

كبير ومثير للانتباه إلى درجة يعتقد فيها القارئ أنها إعادة كتابة لنصوص مختلفة —كما هو الحال في قصيدة الأرض الخراب.....إن لهذه القصيدة —تخصيصا — أثر كبير على شعراء الحداثة العربية لأنها شكلت استثمارا فعليا جديد للموروث الإبداعي والأسطوري والديني وبقالب متميز "[20]إذ أن "التأثيرات التي ميزت أكثر كتابات القرن العشرين منذ العشرينيات كانت ذات أثر واضح في هؤلاء الكتاب، إذ انعكس الاهتمام باللاوعي واللاعقلانية في أعمالهم انعكاسه في نتاج غيرهم من كتاب الفترة نفسها تقريبا كان المصدران الهامان لهذا التأثير (فريديريك نيتشه) الفيلسوف الألماني الذي يدين له (جيدومان بالكثير و (فرويد) الذي أثرت أعماله الفكرية في التحليل النفسي في العشرينات تأثيرا بالغا على المفكرين الغربيين، ولم يكن التحول عن معتقدات وأساليب القرن التاسع عشر مقصورا على كتاب الروائين فقط فكتاب (أندريه برتيون) (أهداف السريالية) أول تغيير رسمي عن حركة دعت إلى العقوبة والابتعاد الشامل عن التقاليد، وظهر تأثير السريالية بفرويد في تشددها على أحلام، والكتابة الذاتية وطرائف الذاتية وطرائف لا منطقية أخرى"[21]

يعتبر إليوت النموذج الأكثر بروزا والأعلى صوتا من خلال التأثير في الشعراء الغرب والعرب. انطلاقا من حقيقة معروفة في الشعر العالمي المعاصر، وهي تأثير إليوت على أجيال كاملة " حيث كان إليوت مؤثرا في عالم كنا نرى فيه الجوع والتعاسة والبطالة في كل مكان "[22]، ولا يمكن إخفاء أوجه التأثر سواء النقدي أو الإبداعي منذ أن ظهرت ترجمات الأرض اليباب " كانت القصيدة موضوع نقاش في الأوساط الأدبية في انكلترا وأمريكا بشكل ربما لم يعرف النقد الأدبي مثيلا له حول موضوعات الشعر المعاصر"[23] وهي المؤثرات التي أسبغت الكتابات التي تليها بصبغة وروح تلك الفترة ودعواها الجديدة ، حيث اشتهرت كتابات إليوت درجة كبيرة من الشهرة والنفوذ الأدبي حتى عد صاحب مدرسة أدبية تركت بصماتها واضحة على الأدب العالمي، فأرائه الأدبية ظلت سائدة في الحياة الفكرية ، وأشعاره تعد نموذجا لمعظم الشعراء والقراء في الشرق والغرب"[24] وهو الأمر الذي فتح المجال أمام الآداب العالمية لملامسة ومحاكاة هذه التجربة والنقل عنها.

وفي مقابل ذلك ونظرا لشهرة إليوت وبعد فترة من اكتشاف شعره وترجمته إلى اللغة العربية ، بداية من شعراء الثلاثينات " وأثر إليوت تأثيرا كبيرا في مجموعة شعراء الثلاثينات وهم شعراء نقاد، عرفوا بهذا الاسم لأنهم برزوا في الفترة ما بين 1930-1940 وكانت بينهم أوجه الشبه ، وهم يشتركون جميعا في تأثرهم بإليوت شكلا ومضمونا ثم وصولا إلى جيل الحداثة الذين تبنوا توجهات إليوت الشعرية وآراءه النقدية فقد ظن الجيل الجديد من الشعراء أن إليوت هو نبي الثورة الأدبية المعاصرة، وعليهم أن يسيروا على هدي

خطواته لإحداث التغيير الجذري المرجو "[25] واستمر هذا الوحي الجديد بالتدفق، وتوالت النداءات للاحتفاء به وتبني أساليبه.

تتجلى عوامل التأثر أكثر فأكثر من خلال فهم سلسة النقاشات التي تمت أو الجدل الذي دار حول مدى قابلية الشعر العربي وطواعيته مع تلك الأفكار والتوجهات وكانت المواقف المتباينة تنعكس حدة وفتورا في التجاذب أو التباعد، إلا أنها تتفق على أن هناك نقطة محورية وهي التأثر كيفما كان شكله وحجمه ومن حيث لم يتوقف هذا التأثر عند حدود معينة فقد شمل مستويات عدة ، توزعت بين المستويات النقدية والإبداعية والطروحات الفلسفية، بما فيها النزوع الأسطوري والاتكاء على استلهام الموروث الديني والفكري والثقافي.

لقد كان لشعرية إليوت تأثيرها على الشعرية العربية فقد اهتمت مجلة(شعر) منذ البداية وجعلت منه نموذجها الغربي/التحديثي الأول لمشروعها التحديثي، ففي العدد التاسع أصدرت (شعر) ترجمة (أسعد رزوق) لأشعار (إليوت) ويعتبر هذا العمل أهم ما يمكن أن يفعله الساعي للتحديث الشعري يقول(رزوق) في هذا الصدد " وإذا كانت غايتنا الانفتاح على تراث غير تراثنا والتفاعل مع ذلك التراث فمن الضروري أن تتمثل هذا التراث بلغتها الأم لأنه يتسنى لنا إدراك أن نتعرف على نطاق واسع، وعن كثب عن تجارب الآخرين الذين بلغوا درجة الإبداع ونالوا شهرة واسعة ونقل شعرهم إلى معظم اللغات الحية، والترجمة هي الوسيط الذي لا غنى عنه في وصولنا في التراث المكتوب بلغة غير لغتنا ولا ضير هنالك من الاستفادة من تجارب الآخرين والاطلاع على تكتيكهم الشعري، وربما الأخذ ببعض نواحي هذا التكتيك والاستعانة بها وإعادة اكتشاف بعض التجارب المهملة أو المنسية، وليس هناك من ينكر أن الاطلاع أو الآخذ قد يغدوا أو هذا قد غدا بالفعل عند فئة من الشعراء المحدثين اقتباس واسع النطاق كثير ما يصل إلى درجة التقليد ومسح الأصل والحط من قيمته، كما أن التراث هو بمثابة النبع الذي يشرب منه كل الشعراء أو الأرض المشاع التي ينمون على ترابها مواهبهم الفردية "[26] بحيث شكلت ترجمة هذه المختارات الشعرية (لإليوت) الحلقة الأولى في سلسة ترجمات نماذج من الشعر العالمي المعاصر وتشمل هذه العملية ترجمة أربع قصائد ومسرحية وقد جاءت على الشكل التالي:[27]

مقتلة الكاتدرئية.....لإبراهيم شكر الله

أغنية العاشق بروفروك.....لبلند الحيدري ود.ستيورات

أربعاء الرماد.....لمنير بشور

الرجال الجوق.....ليوسف الخال

الأرض الخراب.....لأدونيس، ويوسف الخال

عولت مجلة (شعر) منذ البداية على ترجمة وأشعار (إليوت) لأهميتها، فكانت ترى فيه المرجعية التي لابد منها لفهم الشعر والشعرية الحديثة، وتحاول أن تجعل من شعره مثالا يحتذى به قبل الشعراء الطليعيين في الوطن العربي، لأن (إليوت) "قد حطم بطريقته الجديدة كل ما كان الشعراء الرومانطقيون يعتبرونه حقيقة في الحياة مركز اهتمامه على الشكل في الشعر، وأستعمل ما أسماه البديل الموضوعي وهو استخدام كلمة أو رمز ما يلخص بإيجاز وعنف مجموعة من الأفكار والأحداث الماضية، كان كالنسر حاد العينين يحلق في أجواء الفكر مستعرضا أبعادها في الماضي والحاضر، ثم ينقض على الكلمة أو الصورة المعينة التي تختصر الأبعاد كلها، وتعتبر عنها بإيجاز وروعة فالماضي كان حاضرا في ذهنه باستمرار وهو يستمد منه قواه الشعرية ولهذا يعتبر أن الشعر وحدة حية نامية لكل ما كتب من الشعر في الماضي"[28] فمثل هذا الشعر يعبر عن انفعال الحياة مع الإنسانية ليحصل الإحساس / الثورة الفكر الجديد، وهو ما كان يبحث عنه شعراء الحداثة الشعرية في الوطن العربي.

وقد تأثر الشعراء العرب بأطروحة إليوت هذه، نذكر منهم : (السياب) (نازك الملائكة) (صلاح عبد الصبور) و(أدونيس)(يوسف الخال) و(أحمد العوضي) و(البياتي)، وغيرهم ولعلنا في هذا نكتفي ببعض النماذج أوردتها مجلة شعر إذ نقرأ في عددها الثالث مقال كتبه (أسعد رزوق) بعنوان "الناس في بلادي" (لصلاح عبد الصبور) يبرز فيه تأثر الشاعر (بإليوت) وشعريته يقول " أهم ظاهرة فنية تبرز في هذه المجموعة هي مقدرة المصطلح الشعري الجديد على استيعاب التراث الشعري الأوروبي والاستعانة بتكتيك هذا الشعر، ثم تقليد النغمة لكي يتمكن الشاعر من التعبير بالحوار الداخلي والجانبي عن معاينات ذاتها وقلقها في أزمة حضارية ومجتمعية، فالشاعر (عبد الصبور) متأثر إلى حد بعيد بأسلوب (ت س إليوت) وصيغه الفنية وبنظام القصيدة وصورها الرمزية عنده حتى يبلغ تأثيره درجة التقليد في مواضع كثيرة عندما يقول في قصيدة (لحن):[29]

جاريتي ليست أميرة

لا ولست المضحك الممرح في قصر الأمير

فإنه يذكرنا بقول إليوت في قصديته أغنية حب لألفرد بروفروك[30]

No Iam not prang hamlet nor nor was meant tobe

وقد بدا تأثير إليوت في لغة صلاح عبد الصبور واضحا باستخدامه لألفاظ بسيطة سهلة، ولكنها في الوقت ذاته ألفاظ معبرة، فقد مزج بين الفصحى والعامية بالنسبة للغة، ويقول في قصيدته الناس في بلادي:[31]

بالأمس زرت قريتي ، قد مات عمي مصطفى
ووسدوه في التراب
لم يبتن القلاع (كان كوخه من اللبن)
وسار خلف نعشه القدم
من يملكون مثله جلباب كتان قديم
لم يذكروا الإله أو عزريل أو حروف (كان)
فالعالم عالم جوع
وعند باب القبر قام صاحبي خليل
حفيد عمي مصطفى
وحين مد للسماء زنده المفتول
ما على عينيه نظرة احتقار
فالعالم عالم جوع.....

كذلك يشهد الشاعر الحديث (بدر شاكر السياب) تأثره البالغ بشعر إليوت خاصة توظيفه للأسطورة فقد ترجم السياب قصيدة (الأرض الخراب) للشاعر إليوت وقد تأثر بها، وفي قصيدته (المسيح بعد الصلب) تجربة مكملة للاتجاه الذي عرف به الشاعر إليوت[32] وتعتبر قصيدته (أنشودة المطر) واحدة من القصائد الطويلة التي تمثل فيها المنهج الأسطوري، إذ أنه استفاد من قصيدة (الأرض الخراب) لإليوت وفي هذا الصدد يقول مُحَمَّد جودات "والأرض الخراب عموما تلتقي وكثير من قصائد "أنشودة المطر" في كثير من الخصائص من بينها كذلك "السهولة" وهذا أمر ألح عليه إليوت كثيرا "[33]

حيث يفتتح السياب قصيدته بهذا المطلع يقول:

عيناك غابتا نخيل ساحة السحر
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر
عيناك حين تبتسمان تورق الكروم

وترقص الأضواء كالأقمار في نهر[34]

وإننا نجد هذه الأبيات تتقاطع مع أبيات إليوت التي يفتتح بها قصيدته الأرض الخراب التي جاء في مطلعها :

أبريل أقصى الشهور فهو ينبت

الزنابق من الأرض الميتة ، ويمرح

الذكرى بالرغبة ن وتجعل

الجذور الخاملة تنبض بأمطار الربيع[35]

وقد علل السياب هذا التأثير قائلا " أنا متأثر بأسلوب إليوت، إلا أنني نقيضه تماما من ناحية الفكرة والنظرة إلى الحياة "[36]

وقد كانت كذلك للشاعر يوسف الخال لمسته الإليوتية متأثرا بقصائده، فتوفرت في شعره قضية الغموض الشعري وتوظيف الرموز والأساطير إذ نجده يوظف الرمز التموزي الذي استعمله الكثير من الشعراء العرب المعاصرين، ففي قصيدة (البئر المهجورة) يوظف الخال رمزية البئر للدلالة على تموز يقول :

عرفت إبراهيم جاري العزيز، من زمان

عرفته بئرا ، يفيض ماؤها

وسائر البشر

تمر لا تشرب منها، لا لا[37]

هكذا فإن فكرة الرمز الشعري وافدة إلى الشعر العربي عن طريق الشعر الإليوتي بحيث أصبح مقيما في شعرهم وفي لغته وإيقاعه، كما أضاف عمقا واتساعا في الوعي والفكر العربي، ويتجسد ذلك خاصة عند الشاعر أدونيس الذي يبدو تأثره واضحا بشعر إليوت، لذلك كان الإنسان في شعره " مركز العالم فإننا نراه يتغلل في قلب الأشياء في صمتها، ذلك إنما يغنيها في داخل نفسه، ويلبسها قلقه الذي يكشف عن نفسه في القصيدة إذ يحس الشاعر بالصدى القديم لوحدة الكون، يبلغ القلق ذروته غير أن الإنسان مع ذلك يظل تعسا للحياة ومعنى تظل الأشياء قائمة بالنسبة له دائرة حوله"[38]

هكذا تبدو الفكرة الشعرية الإليوتية تسري /تجري في قرائح بعض الشعراء العرب، فهتموا باللغة الشعرية والفكرة الشعرية الحدثية وانتقاء الألفاظ المناسبة لخفة روح العصر لا الرجوع إلى الألفاظ القديمة التي المتلقي يحس بالاغتراب، يقول أدونيس في قصيدته(قالت الأرض) :

قالت الأرض في جذوري أباد
حنين وكل نبضي سؤال
في جوع إلى الجمال وفي صدري
كان الهوى وكان الجمال

ويبدو أن أدونيس في هذه الأبيات يصور قمة المعاناة التي يعاني منها في تجربة الخلق، إنه الإحساس بالقلق الإبداعي الذي يحسه الشاعر، ذلك أنه ليس ترفا فكريا بل محاولة لخلق عالم إنساني جديد ومصدر هذا التأثير الإليوتي مما أدى بشعراء العرب إلى الإيمان بفكرة الموروث وطبيعة الشعر ودور الشاعر في المجتمع الحديث.

خاتمة:

يعتبر إليوت من أهم الشعراء الذين استطاعوا توظيف الأسطورة والرمز للتعبير عن مواقفهم ورؤاهم اتجاه الحياة والمجتمع، ولما كان كذلك فلا غرو أن نجد الكثير من الشعراء العرب متوسلين بالأسطورة للتعبير عن تجاربهم الذاتية والجماعية في قالب إبداعي تنصهر فيه الذات الشاعرة مع الذات الجماعية وهكذا يمكن القول إن الشعراء العرب وهم يوظفون الأساطير المختلفة الذاتية والموضوعية، يقومون بإخراجها من مرحلة إلى أخرى بطريقة إليوتية واضحة من الاستخدام الساذج إلى التفاعل معها بوعي أعمق، وذلك باتخاذ الأسطورة منهجا لإدراك الواقع وتحليله قبل ان تكون مجرد وسيلة من وسائل الأداء الشعري، وكذلك العمل على رفع القصيدة العربية إلى مستوى المعمار المعقد الذي بلغه إليوت وشعراء الغرب، كل هذا أعطى للشعراء العرب مزيدا من الحرية والتخيل والتقنية في استخدام المفردة الشعرية، فكانت الأسطورة عاملا مساعدا على تشكيل الصورة الشعرية من جهة، ومرجعا توكأ عليه الشعراء العرب لإدانة وتعرية البنى السوداء في مجتمعاتهم بطريقة رمزية وإيحائية من جهة أخرى.

هوامش البحث:

[1]- نخبة من الاساتذة المختصين: تاريخ الآداب الغربي،طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ،ص763

[2]- المرجع نفسه ، ص:765

[3]- مُحَمَّد جودات : ذاكرة النص ، في الحداثة الشعرية العربية وامتداداتها التناصية ، مطابع الرباط نت ، ط1، 2015،ص:41

[4]- ت.س.إليوت : فائدة الشعر ، وفائدة النقد ، ترجمة يوسف نور عوض، دار القلم ، بيروت ط1، 1982،ص:13

[5]- ت، س ، إليوت : فائدة الشعر ، وفائدة النقد ، ص:13

[6]- المرجع نفسه ، ص 17

[7]- مجلة شعر العدد2، السنة 1 ، ربيع 1957، ص:23، نقلا عن مليكي العيد ، أثر مجلة شعر اللبنانية في حداثة الكتابة الشعرية ، الجزائر ، 2014

[8]- مجلة شعر ، العدد 9 السنة 3 ، شتاء 1959م ، ص:88

9- ينظر : علي العشري زايد : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، منشورات الشركة العامة، طرابلس ، ط1978،1،ص:35

[10]- محمد جودات : ذاكرة النص، ص:44

[11]- مجلة شعر العدد 2السنة 1 ، ربيع 1957م، ص:64

[12]- ينظر : مجلة شعر العدد 9 السنة 3 ، شتاء 1959 م ص:90

[13]- محمد جودات : ذاكرة النص ، ،ص:16

[14]- محمد مفتاح : التحليل السميائي ، حوار أجراه معه ، عبد الرحمان طنكول ، مجلة (دراسات سميائية) فاس العدد1، خريف1987،ص25.

[15]- محمد مفتاح : مجهول البيان ، دار توبقال للنشر ، المغرب، ط1990،1م،ص:10

[16]- محمد مفتاح : ديناميكية النص (تنظيرا وإنجاز) المركز الثقافي العربي/بيروت،"1سنة 1987م،ص:45

[17]- أدونيس : الشعرية العربية ،دار الأدب ، بيروت ، الجزء الأول ، ط3، 1980، ص:95

[18]- المرجع نفسه،ص:93

[19]- أدونيس : كلام البدايات ،دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، ط1989،1، ص: 41-109

[20]- محمد جودات : ذاكرة النص، ،ص:43

[21]- نخبة من الأساتذة المختصين: تاريخ الآداب الغربي ص715

[22]- عبد الواحد لؤلؤة : الأرض اليباب الشاعر والقصيدة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت لبنان ط1 ،1980،ص:185

[23]- المرجع نفسه،ص:175

[24]- حفناوي بعلي: أثر ت،س إليوت في الأدب العربي ، دار الغروب ، وهران 2007،ص:76

[25]- المرجع نفسه ، ص:52

[26]- أسعد رزوق: ت،س،إليوت ،ترجمات مختارة ، مجلة شعر العدد 9 السنة3،شتاء1959م،ص:88

[27]- المرجع نفسع :ص:89

[28]- مجلة شعر العدد 2 ، السنة 1 ، ربيع 1957م،ص63

[29]- صلاح عبد الصبور : الديوان ، دار العودة ، بيروت ط1، 1972،ص:65

[30]- مجلة شعر العدد3السنة1،صيف1957،ص: 98

[31]- سعيد بن زرقة: الحداثة في الشعر العربي، أبحاث الترجمة والنشر والتوزيع ، بيروت، ط2004،1م،ص:91

[32]- مجلة شعر العدد3 السنة 1 صيف1957م ،ص117

[33]- محمد جودات : ذاكرة النص،ص:46

[34]– السياب بدر شاكر السياب : ديوان بدر شاكر السياب ، المجلد الأول ، دار العودة ، بيروت ط2 ، 200/ ،ص:485

[35]– ماهر شفيق فريد : ت،س ن إليوت : شاعرا وكاتبا واقدا مسرحيا ، المجلس الأعلى للثقافة 2001م،ص:240

[36]– علي العشيري زايد: قراءت في الشعر العربي المعاصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة1998 م، ص:280

[37]– يوسف الخال : الأعمال الكاملة ، دار العودة ، بيروت ، ط2 ، 1979م،ص203

[38]– مجلة شعر العدد 2، السنة 1، ربيع 1957م، ص: 76

قائمة المراجع:

أدونيس : الشعرية العربية ،دار الأدب ، بيروت ، الجزء الأول ، ط3، 1980.

أدونيس : كلام البدايات ،دار الآداب ، بيروت ، لبنان، ط1989،1.

أسعد رزوق: ت،س،إليوت ،ترجمات مختارة ، مجلة شعر العدد 9 السنة3،شتاء1959م.

ت.س.إليوت : فائدة الشعر ، وفائدة النقد ، ترجمة يوسف نور عوض، دار القلم ، بيروت ط1، 1982.

حفناوي بعلي: أثر ت،س إليوت في الأدب العربي ، دار الغروب ، وهران 2007.

سعيد بن زرقة: الحداثة في الشعر العربي، أبحاث الترجمة والنشر والتوزيع ، بيروت، 2004م.

السياب بدر شاكر السياب : ديوان بدر شاكر السياب ، المجلد الأول ، دار العودة ، بيروت ط2 .

صلاح عبد الصبور : الديوان ، دار العودة ، بيروت ط1، 1972.

عبد الواحد لؤلؤة : الأرض اليباب الشاعر والقصيدة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت لبنان ط1 ،1980.

علي العشري زايد : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، منشورات الشركة العامة، طرابلس ،ط1، 1978.

علي العشيري زايد: قراءت في الشعر العربي المعاصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة1998 م.

ماهر شفيق فريد : ت،س ن إليوت : شاعرا وكاتبا واقدا مسرحيا ، المجلس الأعلى للثقافة 2001.

مجلة شعر العدد2، السنة 1 ، ربيع 1957، نقلا عن مليكي العيد ، أثر مجلة شعر اللبنانية في حداثة الكتابة الشعرية ، الجزائر ، 2014.

مُحَمَّد جودات : ذاكرة النص ، في الحداثة الشعرية العربية وامتداداتها التناصية ، مطابع الرباط نت ، ط1، 2015.

مُحَمَّد مفتاح : التحليل السميائي ، حوار أجراه معه ، عبد الرحمان طنكول ، مجلة (دراسات سميائية) فاس العدد1، خريف1987.

مُحَمَّد مفتاح : ديناميكية النص (تنظيرا وإنجاز) المركز الثقافي العربي/بيروت، ط1،سنة1987م.

مُحَمَّد مفتاح : مجهول البيان ، دار توبقال للنشر ، المغرب، ط1، 1990.

نخبة من الاساتذة المختصين: تاريخ الآداب الغربي،طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق .

يوسف الخال : الأعمال الكاملة ، دار العودة ، بيروت ، ط2 ، 1979.